مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية
ISSN 2170-0370/E-ISSN 8127-2710
المجلد 12- العدد 02– 2021،ص ص 435- 451

الشرق في نظر الغرب

اهتمام الفنانين والمستشرقين الفرنسيين بالجزائر أنموذجا

The east in the eyes of the Middle West
The interest of French artists and Oriontalists as a model

د. كريم مقنوش*

جامعة يحيي فارس المدية، Karimhamoud.34@hotmail.com

تاريخ الاستلام : 2021/04/28 ؛ تاريخ القبول : 2021/05/21 ؛ تاريخ النشر : 2021/06/07

الملخص

الهدف من هذه الدراسة هو إبراز أهمية الجزائر في نظر الفرنسيين خاصة بعد احتلالها سنة 1830، فالحملة الفرنسية فتحت الأبواب على مصراعيه لكل الفرنسيين خاصة بعد تطور الحركة الرومانسية في فرنسا، فأصبحت الجزائر منطلق نشاط الاستشراق الفرنسي مبكرا، وتزامنا مع الحملة العسكرية والسياسية اندفعت قوافل من المستشرقين والفنانين والأدباء مكتشفين أسرار الجزائر وكنوزها منبهرين بجمال طبيعتها وصحاريها، ومن الفنانين الفرنسيين الذين تأثروا وأثروا الفن الفرنسي نجد دى لاكروا، هوراس فيرنيه، فريديريك شاصيريو، ألبير لوبورغ، ويوجين فرومنتان، مستغلين كل ماله صلة بالمعالم الآثرية الإسلامية من قصور ومباني ومتاحف.

ولمعرفة مدى اهتمام الفنانين والمستشرقين الفرنسيين بالجزائر، ارتأينا إتباع المنهج الوصفي التحليلي معتمدين في ذلك على المادة التاريخية المتاحة لدينا. وفي الأخير خلُصنا أن فرنسا في استعمارها للجزائر راهنت على مستشرقيها وفنانيها بقدر ما راهنت على جيوشها، يرافقون حملاتها

Abstract

The objective of this study is to highlight the importance of Algeria in the view of the french , especially after its colonisation in 1830.The doors were widely opened for all the french campaign , especially after the development of the romantic movement in France. Algeria early became an activity site for French orientalism and coinciding with the military as well as political campaign, convoys of orientalists, artists and writers dashed to discover Algeria's secrets and treasures, hence they were amazed by the beauty of its nature and its deserts, and among the French artists who had been influenced with such beauty and enrivhed the French art, we find : de la Croix, Horace Vernet, Frederic Chacerio, Albert Le Bourget, and Eugene Fromentin, taking advantage of everything related to Islamic moniments from palaces, buildingd and museums.

And so as to know the extent of

مقدمين لها الخدمات والخبرات والمعلومات الضرورية.

الكلمات المفتاحية : الجزائر ؛ الاستعمار الفرنسي ؛ مدرسة الفنون الجميلة ؛ مستشرقون فرنسيون ؛ فيلا عبد اللطيف.

French artists and orientalists 'interest in Algeria, we decided to implement the descriptive analytical method of research, relying on the historical material available to us. Eventually, we concluded that France, during its colonization of Algeria, bet on its orientalists and artists as much it bet on its armies, accompanying its campaigns, providing it with all the necessary services, expertise and information.

Keywords : Algeria ; French Colonialism ; School of Fine Arts ; French Orientalists ; Villa Abdellatif.

***المؤلف المراسل.**

مقدمة :

يعتبر احتلال الجزائر من قبل فرنسا سنة 1830 انجازا عظيما فتح لها آفاق جديدة في ميادين عدة منها، العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وتزامنت الحملة العسكرية الفرنسية على الجزائر في النصف الأول من القرن 19م مع ظهور المذهب الرومانسي في أوروبا، فبدأت أنظار الفرنسيين تتجه صوب الجزائر بعدما استهواهم الشرق، فقد كان لنفوذ فرنسا السياسي والعسكري والاقتصادي في الشرق، سببا مباشرا في انفتاح أبواب الشرق الإسلامي أمام قوافل المستشرقين والفنانين والأدباء والعلماء والرحالة للبحث عن جماليات هذا الشرق، وإضافة أشياء إبداعية إلى الاستشراق الفني الفرنسي، إذ أصبحت الجزائر منطلق نشاط الاستشراق الفرنسي مبكرا، فراح المستشرقون والفنانون يكتشفون خبايا وأسرار الجزائر من خلال هجرتهم وزياراتهم لها مدعّمين من طرف الإدارة الفرنسية، مستغلين في ذلك كل ما له صلة بالمعالم الأثرية الإسلامية من قصور ومباني، ومن هذا المنطلق موضوعنا يبحث عن الإشكالية التالية:

ما مدى اهتمام الفنانين والمستشرقين الفرنسيين بالجزائر وتأثّرهم بما احتوته من معالم أثرية ومناظر طبيعية؟

وللإجابة على الإشكالية الرئيسية اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي في معالجة هذا الموضوع، والذي يقوم على وصف وتحليل الظاهرة والموضوع محل الدراسة للوقوف على تفاصيله.

1.I- علاقة الاستشراق بالفكر الاستعماري:

تركت الحملة الفرنسية على الجزائر بصماتها على الشرق وجعلت الاستشراق الفرنسي ينشط في تحقيق ما عجز عليه الجيش، فاهتم المستشرقون الفرنسيون بترجمة واقع الجزائر، بحيث عرف الاستشراق الفرنسي نقلة نوعية على يد سيلفستر دى ساسي Silvestre de Sacy (1758- 1838) رائد الاستشراق الفرنسي ومُنشأ علم الاستشراق في أوروبا (بيطار، 1992، صفحة 3)، فأصبحت الجزائر منطلق نشاط الاستشراق الفرنسي مبكرا،

فقد وقعت كل الوثائق والمخطوطات والآثار بيد أيدي المستشرقين، يقول في ذلك أبو القاسم سعد الله:" فإن جهود هؤلاء المستشرقين لم تكن علمية محضة فقد كانوا جنودا في الميدان، وليسوا علماء باحثين عن الحقيقة المجردة كان مثلهم في دعم الاستعمار مثل لافيجري وجنوده من الآباء البيض...، وهي مساعدة الإدارة على بسط نفوذها" (سعد الله، 2005، صفحة 22، 23).

والاستشراق والاستعمار الفرنسيان تحديدا تتمثل وحدتهما في أنهما وليدا سياسة فرنسية واحدة، وفي ذلك يقول المستشرق الفرنسي المعاصر جاك بيرك (1910-1995):" فالاستشراق هو الجناح الفكري للتوسع السياسي، وغياب احدهما عن الآخر هو بداية تصدع في جدارهما، وهو ضعف لهما ومؤشر لبداية زوالهما" (سعد الله، 2005، صفحة 24).

فالجزائر هي أول وأقدم المستعمرات العربية والإسلامية لفرنسا في الشرق وإفريقيا، وهي أقرب مستعمراتها إليها مسافة، كما أنها هي بوابة فرنسا على بقية بلدان المغرب وإفريقيا، هذا التميّز الاستعماري جنّدت له فرنسا ليس أكبر مستشرقيها ومفكريها، بل كل ما أوتيت من قوة سياسية وعسكرية بلغت حسب ما ذكره أبو القاسم سعد الله حوالي 64 ألف رجل وأسطول جرار يقدر بـ 675 سفينة بأنواعها، شارك في هذه الحملة مدنيون من أدباء ومؤرخين ونحاتين ورسامين وفنانين وغيرهم (أحمد مسعود، 2019، صفحة 106).

2.I- الجزائر في نظر الفنانين الفرنسيين:

يعود اهتمام الفرنسيين بالجزائر إلى ما قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م، لكن الحملة الفرنسية هي التي فتحت أبواب الشرق على مصراعيه، خاصة مع تطور الحركة الرومانسية في أوروبا وفرنسا على الخصوص، فراح المستشرقون والفنانون يكتشفون خبايا وأسرار الجزائر من خلال هجرتهم وزياراتهم لها، زارها في النصف الأول من القرن 19م حوالي 150 فنانا فرنسيا، من بينهم أوجين دى لاكروا (1798-1863) Eugène Delacroix، هوراس فيرنيه Horace Vernet (1789-1863)، أوجين فرومنتان (

1820- 1876) Eugène Fromentin، ثيوفيل غوتيه Théophile Gautier (1811- 1872)، ألفونس دوديه Alphonse Daudet (1840- 1897)، فريديريك شاصيريو Frédéric Chassériau (1819-1856) وغيرهم، وهناك من اتخذها مقاما، وفيهم من ولد فيها مثل ايموز وآثلان وأندري مارك وكلو. إن فرنسا في استعمارها، كانت تُراهن على مستشرقيها ودورهم بقدر ما كانت تراهن على جيوشها، بل كان مستشرقوها في طليعة جيوشها أدلاء يقودونها ويرافقون حملاتها، مقدمين لها خدمات والخبرات والمعلومات الضرورية (سعد الله، 2005، صفحة 22).

وأول انطباع في الأعمال الفنية لهؤلاء الفنانين في اختيارهم للمواضيع بحيث نجدها يغلب عليها بالدرجة الأولى الطابع الاستعماري تعبر عن انتصار فرنسا ونشوتها باحتلال الجزائر، وظهر ذلك في لوحات الفنان هوراس فرنيه –الذي يعتبر الفنان الرسمي للحملة على قسنطينة– "معركة قسنطينة الثانية" سنة 1837 ، و"الاستيلاء على الزمالة" سنة 1843، وآخرون اتخذوا موضوع الحيوانات في صورهم، فنجد الحصان والجمل والصقر والأسد والطيور، وهناك من ركّز على اللباس الفخم والحلّي والجواهر والأسلحة المرصّعة بالذهب والفضة والقصور الفاخرة وما يوحي ذلك إلى الثروة الكبيرة، بالإضافة إلى تركيزهم على الجانب الاجتماعي والمتمثل في الطبقية التي كانت موجودة في المجتمع الجزائري (بن ابراهيم، 2004، صفحة 99) .

ومن الفنانين الفرنسيين الذين تأثروا وأثروا الفن الفرنسي من خلال المواضيع المستوحاة من الطبيعة الجزائرية نجد أوجين دى لاكروا، هوراس فيرنيه، فريديريك شاصيريو، ألبير لوبورغ (1849-1928) Albert Lebourg، أوغست رونوار (1841-1919) Auguste Renoir، نواريه، أوجين فرومنتان، وألفونس ايتيان دينه Étienne Dinet Alphonseوغيرهم.

I. 2-1- أوجين فرومنتان في الصحراء الجزائرية:

كان للأديب والفنان الفرنسي أوجين فرومنتان (1820- 1876) دور بارز في حركة الفن الاستشراقي في منتصف القرن 19م، تميّز فرومنتان بنظرة جمالية جمعت بين الرومانسية والفكر الواقعي، تأثر بالمناخ الثقافي والفني الذي كان يسود باريس في ذلك العصر، وتغيرت معالم شخصيته تماما، عندما أدرك عدم جدوى دراسته في الحقوق بباريس سنة 1843، فكان دائم الإشادة بمعالم الشرق وبعظمة شعوبه التي استطاعت الحفاظ على جمال الحياة والعادات والتقاليد الموروثة، وملاحظة أثر المناخ في سلوك الإنسان في الصحراء، قرّر فرومنتان أن يعيش بنفسه عالم الشرق الأنقى في الصحراء والاستمتاع بمناظر الطبيعة، فاختار الجزائر لتكون مقرا له وأن يجرّب أثر المناخ على أحاسيسه من الداخل (سعد الله، 2005، الصفحات 374- 377).

ومما لا شك فيه أن إقامته في الجزائر لفترة طويلة مكنته من إيجاد ذاته في لوحات شرقية تصب في جوهرها في التوجه الرومانسي، وجسّدها في عدد من لوحات الصيد وهي الفكرة التقليدية الاستشراقية التي تغلغلت في الفن الأوروبي منذ القديم، وكذلك لوحته الشهيرة" مظهر الصحراء" أو "لصوص الليل" التي جسدت الليل في الصحراء، تحصّل من خلالها على نجاح سنة 1859 (سعد الله، 2005، صفحة 380، 381).

وعقب ثلاث رحلات طويلة إلى الجزائر استغرقت مدة إقامته بها أكثر من 500 يوم، نشر فرومنتان سنة 1857 كتابه "صيف في الصحراء" Un été dans le Sahara (حفناوي، 2016، صفحة 118، 119) ثم كتاب آخر " سنة في الساحل" Une année dans le Sahel سنة 1859، كان كل شيء يبدو له جميلا ما عدا المعمّرين الذين شوّهوا المنظر والذين كان يتجاهلهم، ولقد كان معجبا بالعرب المتميزين، بحيث كتب يقول: " إني أتحدى أن يجد أي شخص تحفا قديمة أكثر انسجاما وجمالا من البدوي حيثما كان في المقهى أم في السوق أو حتى في الشارع" (علالي، 2014، الصفحات 15-24).

وبدعوى من الخديوي إسماعيل شارك فرومنتان في الاحتفالات الرسمية بمناسبة افتتاح قناة السويس سنة 1869، وقدّم صورة صادقة متعددة الألوان عن مصر، ومن أشهر لوحاته

عن مصر " لصوص الخيل في الصحراء" و " الغروب على شاطئ النيل" و" النوبيات على شاطئ النيل"، إذ دلت إبداعاته على عمق ثقافته وسعة اطلاعه ونزوع إلى الابتكار والتمييز، وكان يعيش العزلة خارج الزمان والمكان (جوليان، 2008، صفحة 752).

I. 2-2- إيتيان دينه (ناصر الدين) الرجل الرسام:

ارتبط اسم ألفونس إيتيان دينه بالجزائر والفن الإسلامي العربي بعد اعتناقه الإسلام، فهو من مواليد سنة 1861 بباريس، خريّج مدرسة الفنون الجميلة بباريس، زار الجزائر لأول مرة سنة 1883، وقصد الواحات، تكررت زياراته للجزائر متأثرا بكتابات فرومنتان، لذلك سجّل نفسه في مدرسة اللغات الشرقية، وقد شارك في معرض الفن الإسلامي سنة 1903. وفي بوسعادة تعرف إتيان ديني على إحدى عائلات المنطقة وهي عائلة الحاج سليمان بن إبراهيم الذي اكتشف بواسطتهم الحياة الصحراوية والمشاعر العربية الإسلامية، التي سوف نراها متجسدة في لوحاته وكتاباته. اعتنق الإسلام سنة 1927 تحت إشراف المفتي الحنفي الشيخ محمد بوقندورة فأقاموا له حفلا شرفيا في نادي الترقي، وفي سنة 1929 أدى فريضة الحج رفقة الحاج سليمان بن إبراهيم. وفي نفس تلك السنة توفي ديني بسكتة قلبية بباريس، وببوسعادة نقل جثمانه ليدفن هناك (عرفة، 2003، الصفحات 118- 123).

ترك ديني مجموعة من اللوحات التي خلدت الوجوه العربية وحياة الصحراء والطقوس الإسلامية، منها "العرب أثناء الصلاة" و"أطفال العرب أثناء كتابة الألواح" و"المدّاح" وغيرها من اللوحات (بورغدة، 2017-2018، الصفحات 15-18). أما فيما يخص الكتابات يذكر مصطفى لشرف أنه تحصل في سنة 1942 على مجموعة كبيرة من كتب ديني وهي حوالي 30 مجلدا عرضها عليه الحاج سليمان، فانتشلها من غمرة الطوفان كما ذكر، ومن بين تلك المجلدات"طبقات ابن سعد" و"طبقات ابن هشام" و"طبقات الصحابة"، وكتب أخرى في الأصول الاجتماعية والثقافية والإنسانية للإسلام، ومما يلاحظ في كتب ديني حسب لشرف أنها ركّزت النظر على طبيعة الجُرم المرتكب من طرف فرنسا أثناء الاحتلال

والهيمنة السياسية من طرف الكولون في هذه الفترة 1870-1914، وفي حكم الأهالي بشتى أساليب التمييز (عرفة، 2003، الصفحات 415-418).

3- مدرسة الفنون الجميلة:

تعتبر إحدى المدارس في مجال الفنون الجميلة التي أنشأها الفرنسيون بمقتضى مرسوم 8 نوفمبر 1881 في مدينة الجزائر، عيّن شارل لابي Charles Labbé (1820-1885) أول مدير لها، ثم هيبوليت لازرغ Hippolyte Lazerges بين 1885- 1909، ثم ليون كوفي بين 1909- 1933، وبقيت حوالي سبعين سنة تعمل في تكوين الفنانين وإقامة المعارض ورعاية الفنون خدمة لفرنسا، ولم ينل الجزائريون منها إلا القليل (Dorbani، 2002,PP. 165,166).

ذكر سعد الله أن أحد الباحثين في إحدى الدراسات الحديثة تطرق إلى تطور فن الرسم في الجزائر في فترة الاحتلال، وأن علاقة الفنان الفرنسي بالجزائر مرت بثلاثة مراحل، فالمرحلة الأولى هي مرحلة الإنتاج الشرقي التصويري المرتبط بأبعاد الحركة الرومانسية والحركة الفكرية الأوروبية على العموم، فكان النحت والتصوير هما السمتان البارزتان خلال هذه الفترة، وكان يمارسهما كل من دى لاكروا وفرومنتان اللذين كانا أكثر الفنانين حضورا بالإنجازات في مدرسة الفنون الجميلة.

أما المرحلة الثانية فتميزت بترسيم الفن الفرنسي بتدخل السلطة الإدارية في مجال الفن، وذلك بوضع فيلا عبد اللطيف سنة 1907 تحت تصرف الفنانين الموهوبين والممنوحين والمتفرغين لمدة سنتين- وسنرى ذلك لاحقا-، وفيما يخص المرحلة الثالثة فهي مرحلة الاستقلالية ولكن بدعم من السلطة، فظهرت من خلالها مواضيع إنسانية وديمقراطية (لشرف، 2007، الصفحات 88- 114).

4- فيلا عبد اللطيف مهد الفنون الجميلة في الجزائر:

تنسب إلى عائلة عبد اللطيف التي اشتهرت في القرن 18م خلال العهد العثماني بالثروة والجاه والسياسة والأدب وفيها الوزراء والقضاة، اتخذها الفرنسيون ورشة لفن الرسم

والنحت والتصوير منذ فاتح هذا القرن، وقد أصبحت مدرسة فنية تمثل الفن الجزائري بأدوات فرنسية.

استقبلت المدرسة فنانين فرنسيين فمنهم من أتوها أحرارا، وآخرون مبعوثين في مهمات كانت ترسلهم الحكومة لمدة سنتين، وخلال عهد الحاكم العام شارل جونار Charles Jonnart(1903-1911) حاول تطبيق نظريته السياسية والمتمثلة في أن تظل الجزائر فرنسية مع المحافظة على شخصيتها التقليدية، فاستطاع في عهده تطبيق هذه النظرية في مجال الفنون، وخاصة التركيز على هذه التحفة المعمارية الخلابة. تبنى جونار سنة 1907 فكرة استغلال هذا المعلم الفني، فدعا كل الموهوبين الناشئين في الفن بباريس ليحلوا بالجزائر ويستفيدوا من أجوائها وطبيعتها، فاستحدث مشروع إيواء هؤلاء الفنانين على أساس المسابقة والفائزون يرسلون على نفقة الدولة لمدة سنتين غير ملزمين بأداء أية خدمة، وترتب عن هذا الاستغلال آثار ايجابية في وضع اللبنة الأولى للممارسات التشكيلية في الجزائر والعمل على تأسيس حركة فنية تشكيلية حقيقية (سعد الله، 2005، صفحة 382، 383).

تداول على فيلا عبد اللطيف عدد من الفنانين اكتسبوا شهرة بحكم إنتاجهم الإبداعي والغريب على الذوق الفرنسي، وشاركوا في معارض فنية وبيعت لوحاتهم بأثمان غالية، ومن بينها لوحات الفنان نواريه " ولادة في الصحراء" و"أغنية الناي" و"ياسمين الساحل" وغيرها من المناظر الطبيعية الجزائرية. أما في مجال التصوير نجد شارل دو فريسن الذي اكتشف موهبته في الغناء، وحصل دييوا على جائزة سنة 1927 من خلال لوحته " امرأة من الهقار"، ومن النحاتين نجد جورج بيقي الذي نحت تمثال "عربي يتوضأ" وتحصل بها على جائزة كبرى سنة 1924، وأيضا بينو الذي نحت " عربي يصلي" (عزوز و خالدي، 2018، صفحة 59).

استمرت فيلا عبد اللطيف في مهمتها خلال عهد جونار، إلا بعض الاختلاف الذي حدث في عهد السيد جون ألازار (1887- 1960) الذي غير من تسميتها إلى

فيلا مديشي الجزائرية وأسس لها إدارة. وعموما فالفيلا كان لها تأثير كبير في الأوساط الفنية، حتى أصبحت بعض الجمعيات مرتبطة بها، ومن الذين اشتهروا وتخرجوا من هذه الفيلا نذكر ألبير ماركي صاحب لوحات " مرسى الجزائر " و" مرسى بجاية"، وكذلك هنري ماتيس Henri Matisse (1869- 1954) الذي وضع لمسات فنية مؤثرة بلوحاته الغريبة، ومن النحاتين نجد جورج هيلبر Georges Hilbert وبول بيلماندو Paul Belmondo وغيرهما(Bué, 2000, pp. 47-50) .

5- معارض الفنون الإسلامية:

ومن الأشياء التي اهتم بها الفرنسيون هي إقامة المعارض ما ابدعوه في مجال الفنون، إذ فتحوا معرض باريس للفن الإسلامي سنة 1903، وآخر سنة 1912، وعمّت الظاهرة لتشمل مدينتي وهران وقسنطينة، فكان لها صدى كبير. وبمناسبة انعقاد مؤتمر المستشرقين الرابع عشر في الجزائر سنة 1905، افتتح المعرض في المدرسة العربية الفرنسية بالعاصمة وسُمي بمعرض الفنون الإسلامية، عُرضت فيه تحف نادرة من أسلحة وسروج ومطروزات لأشهر العائلات العريقة، مثل الفكون، وعلي باي (بوعكاز)، والحاج الأخضر، وبن قلفاط، وابن مرابط (سعد الله، 2005، صفحة 386،387).

واستمر إقام هذه اللقاءات الفنية كلما سنحت الفرصة بذلك، فأقيم معرض سنة 1924 في المدرسة الثعالبية عرف بالفن الأهلي، الذي عرض فيه المصحف الشريف الضخم كتحفة فنية رائعة، بالإضافة إلى عرض ثلاثة طباع من الفنون الحضرية والبربرية والصحراوية، وبمناسبة الاحتفال المئوي بالاحتلال أقيم معرض ضخم سنة 1930 الذي شارك فيه الجزائريين أمثال عمر راسم (1884- 1959) الذي ارتبط اسمه بالفن الأصيل وفرض نفسه على الساحة الفنية (ناصر، 2015، صفحة 52).

ومنذ سنة 1923 نبهت ماري بوجيجا M.Bugeja السلطات بضرورة إنشاء متحف للفن الإسلامي في الجزائر على غرار ماهو موجود بالقاهرة، لتفادي عملية الاختلاس وإنقاذ الآثار الإسلامية، وذكّرت بجهود السيدتين لوس أليكس Luce Allix وابن عابن

Ben Aben –فيما بعد– بمساهمتهما في إحياء التراث الفني الإسلامي من خلال فتح ورشات لتطوير الصناعات التقليدية الجزائرية بحيث شاركت فيها لوس في المعارض الفرنسية والدولية الذي حاز شهرة عالمية (سعد الله، 2005، صفحة 118، 119).

6– الآثار الإسلامية:

اهتم الفرنسيون بالآثار الإسلامية إلا في حكم شارل جونار، الذي أعاد إحياء التراث الإسلامي بعد أن كان اهتمامهم منصبا بالآثار الرومانية، ففي العاصمة وحدها كان هناك 122 مسجدا بقي منها أربعة، هدمت 66 مسجدا، بعد أن كانت قبل الاحتلال منارة العلم والدين. وصف ألبير باللو "الجامع الجديد"(أنظر التعليق رقم 02) بالمعلم الجميل والرشيق لجماله وغناه من حيث الأوقاف (سعد الله، 2005، صفحة 392).

وعموما لاحظ ألبير باللو من خلال دراسته للمعالم الإسلامية أن الفن الإسلامي ذا طابع أندلسي موحد من القاهرة إلى الأندلس مرورا بتلمسان وفاس مع نوع من التعديل وقع في الزخرفة كلّ حسب تأثيراته المحلية (باللو، 1905، الصفحات 380–401).

مهما يكن من أمر فإن الآثار الإسلامية تعرضت إلى الإهمال وفي بعض الأحيان إلى الهدم والتحويل إلى معالم مغايرة، إلا في عهد شارل جونار الذي اصدر قرارا سنة 1905 يحمي من خلاله تلك الآثار مع المحافظة عليها، منها ضريح حسن باشا بن علي، وضريح الأميرة في الحديقة المجاورة لسيدي عبد الرحمن الثعالبي بالعاصمة وغيرهما.

ورغم تحامل بعض الفرنسيين على الفن الإسلامي واعتبروه منافسا لفرنسا، فقد اعتبره البعض الآخر مُهما وبالأخص المعالم الأثرية لمدينة تلمسان لما لها من قيمة معمارية، بحيث قام الأخوان جورج ووليام مارسيه بدراسة مستفيضة نشرت في المجلة الإفريقية عن المعالم الأثرية لمدينة تلمسان سنة 1903 Les Monuments Arabes de Tlemcen (مارسيه، 1903، صفحة 111)، تعتبر دراسة فنية معمارية متنوعة قيّمة تعكس الحالة العامة لتلمسان، ثم طُبعت في كتاب جاء في مقدمته على لسان مؤلفيه:" لم تُسل أي مدينة إسلامية جزائرية من المداد ما أسالته مدينة تلمسان، فقد حظي تاريخها ونقوشها وآثارها

باهتمام كثير" (مارسي، 2011، صفحة 15). هذا بالإضافة إلى دراسات أخرى للمهتمين بهذا الجانب في مناطق أخرى مثل قلعة بني حماد وجامع سيدي عقبة.

7- القصور والمباني الحضرية:

هي الأخرى أصبحت محطة أنظار الفرنسيين خاصة القصور الموجودة في الأحواش الريفية التي تحولت إلى أملاك الدولة الفرنسية بعد الاحتلال، ففي كتاب صدر سنة 1859 لمؤلفه ديتسون واصفا قصر مصطفى باشا بالفن المعماري الحضري الرشيق لجماله وفخامته، كما وصفه أيضا بير بروجرBerbrugger ولوصور وويلد Lessor et Weld وروزي Rozet ودوبيريزDopirez وغيرهم بما يحمله من جمال في الفن المعماري بأدق الأوصاف في مبانيه، ومن المعالم المخلدة للتاريخ أنه وُجد بمدخل الباب الرئيسي للقصر لوحا من الحجر كتبت عليه أبيات شعرية باللغة العثمانية مما جاء فيها: " جاء مصطفى باشا إلى الجزائر وقال: لأبني هنا مقر الديوان، إن هذا المقر يكون حصنا حصينا للجيش كما يبقى اسمي مخلدا، لأن عمر الدولة لا بد من أن يطول...". (خلاصي، 2007، صفحة 168، 169).

والشيء الملاحظ الذي شدّ انتباه الفنانين والدارسين للفن أن ما يميز الأبنية الإسلامية شيئين اثنين، أولهما عنايتهم بالستر للدلالة على الغيرة الشرقية والحرمة التي اتسم بها الجزائريون، وثانهما الذوق السليم في البناء، وهذا يدل على الأسلوب الذي كان شائعا في كل الأبنية الحضرية بالجزائر.

وأثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر تعرضت القصور والمباني إلى التخريب والهدم، والغريب في الأمر أن أحد الكتاب الفرنسيين ذكر بأن الأوروبيين عندما استولوا عليها أنقذوها من أيادي التخريب، وهناك من أعاد ترميمها كما فعل المهندس الإنجليزي بوكنال في مدينة الجزائر (سعد الله، 2005، صفحة 402، 403).

ومن القصور التي شدّت انتباه الفرنسيين قصر أحمد باي بقسنطينة كنموذج للفن المعماري الأصيل، الذي جمع بين الفن الأندلسي والمغاربي والتركي والايطالي، والذي حظي

بدراسات وملاحظات قيمة لجماله وانسجامه، إذ وصفه الفنانون المعماريون بالتحفة الفنية، أشاد به كل من هوراس فيرنيه الذي اعتبره تحفة وعدّه حلماً من الأحلام الشرقية، وأما ديتسون اعتبره رمز الحياة الإسلامية، كما وصفه أيضا أوغسطين بيرك بإعجاب كبير، والواقع أن شارل فيرو خصّ القصر بدراسة مفصلة بعد منتصف القرن 19م (سعد الله، 2005، صفحة 405، 406).

8- المتاحف:

اهتم الفرنسيون بهذا النوع من الآثار الإسلامية سيما في أواخر القرن 19م وخاصة في عهد الحاكم العام جول كامبون (1891-1897)، ففي ديسمبر 1892 أنشئ بقرار وزاري متحف الآثار الجزائرية القديمة الذي يعتبر من أقدم المتاحف في الجزائر، ودشن رسميا سنة 1897، ومنذ تأسيسه عرف المتحف رغم محافظته على وظيفته بعدة أسماء منها "متحف الآثار الجزائرية"، "المتحف الجزائري للآثار القديمة والفنون الإسلامية"، "متحف ستيفان قزال" -نسبة لأحد أشهر علماء الآثار الفرنسيين-، "المتحف القومي للآثار"، و"المتحف الوطني للآثار القديمة" (مالكي، 2008-2009، صفحة 84).

وفي عهد شارل جونار تم تصنيف الآثار والبنايات التي تعتبر معالم أثرية، وتحديد الأشياء التاريخية والحفريات، وفي 1927 خصصت مصلحة الآثار القديمة- والذي كان مديرها ألبرتيني- ميزانية للحفريات وصيانة الآثار واسترجاعها، كما خصصت منحا للدراسات الأثرية.

كما نشطت الجمعيات في إطار جمع الآثار وتكوين المتاحف وتخصيص وسائل الحفظ والصيانة، فتم جمع لوحات عديدة من رسم وتصوير الفنانين ووضعتها في قاعة البلدية، ومن المتاحف الهامة في هذا المجال نجد "متحف باردو" لما قبل التاريخ (انظر التعليق رقم 03). ومتحف الفنون الجميلة الخاص بالآثار الفنية الفرنسية، الذي أنشأها السيد ألازار وكان هو مديرها، كانت تضم فنون الرسامين الاستشراقيين من تماثيل ومنحوتات، وأيضا متحف التاريخ العسكري بالعاصمة (القصبة) الذي كان يضم أسلحة جزائرية وصور وملابس

وغيرها، هذا بالإضافة إلى المتاحف الجهوية بقسنطينة ووهران (سعد الله، 2005، الصفحات 399- 406).

خاتمة:

ما تقدم ذكره في هذه الدراسة نظرة الغرب للشرق من خلال اهتمام الفرنسيين من فنانين ومستشرقين وأدباء بالجزائر أنموذجا، وما احتوته الجزائر من خبايا وأسرار جعلت فرنسا الاستعمارية تنبهر بها فتأثّر فنانوها ومستشرقوها أيما تأثير، وبعد استعراضنا لهذا الموضوع توصلنا إلى النتائج التالية:

– أن فرنسا في استعمارها راهنت على مستشرقيها ودورهم بقدر ما راهنت على جيوشها، بل كان مستشرقوها في طليعة جيوشها يقودونها ويرافقون حملاتها، مقدمين لها الخدمات والخبرات والمعلومات الضرورية.

– أن الحملة الفرنسية على الجزائر تصادفت مع ظهور الحركة الرومانسية في أوروبا عموما وفرنسا خصوصا، كان سحر الشرق والمتمثل في الجزائر فرصة لتحقيق أحلامهم والتعبير عما يخلج في نفوسهم، فلجأ الفنانون إلى الرسم والنحت فأطلقوا العنان لخيالهم في رسم لوحات فنية جميلة متأثرين في ذلك بطبيعة الجزائر وصحاريها، فأصبحت الجزائر حقل تجارب للعديد من النشاطات الفنية، وبالتالي فمجيء الفنانين إلى الجزائر في بداية الأمر كان بطريقة حرة منذ الاحتلال، ثم تغيّر في مرحلته الثانية مع وجود فيلا عبد اللطيف كمدرسة ومعلم فني في عهد جونار، الذي أرادها أن تظل الجزائر فرنسية ولكن محافظة على شخصيتها التقليدية.

– كما يعتبر تدخل فرنسا في الجزائر لتوجيه الفنون الشعبية وجعلها في خدمة الاقتصاد الاستعماري والذوق الفرنسي، وما أنشأه الفرنسيون من مراكز نسائية للطرز وغيره ذريعة للتأثير على المرأة الجزائرية المسلمة خاصة والأسرة عامة.

–كانت تجربة فرنسا في الشرق وخاصة في الجزائر متميزة عن بقية الدول الأوروبية، وذلك لعوامل تاريخية وجغرافية خاصة بها، فقد حاولت احتواء الشرق عسكريا ودينيا وثقافيا.

-الشروحات والتعليقات:

- التعليق رقم 01: الاستشراق في جوهره هو اهتمام بالغ بمفاهيم الشرق والتعمق في دراسته والكشف عن خباياه، وهو قديم ولكنه لم يتبلور معرفيا إلا في القرون الوسطى، وظهرت اللفظة لأول مرة بالانجليزية سنة 1779، ثم بالفرنسية سنة 1799، قبل تبني الأكاديمية الفرنسية للاستشراق سنة 1838.

- **التعليق رقم 02**: يقع المسجد الجديد حاليا بساحة الشهداء بالجزائر العاصمة وهو محاذي للجامع الكبير.

- **التعليق رقم 03**: يعود بناءه إلى القرن 18م، عرفت الفيلا من سنة 1830 عدة ملاّك، ثم انتقلت سنة 1926 إلى الأملاك العمومية، وحوّلت سنة 1930 إلى متحف لما قبل التاريخ، وفي سنة 1985 صنّف الباردو الى معلم تاريخي، يحتوي على مجموعات هامة تمثل مختلف الفترات التاريخية.

- المراجع :

1. أبو القاسم، سعد الله. (2005). أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر (ط 1، المجلد 4). بيروت، لبنان: دار الغرب الاسلامي.

2. أبو القاسم، سعد الله. (2005). أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر (ط 1، المجلد ج5). بيروت، لبنان: دار الغرب الاسلامي.

3. أبو القاسم، سعد الله. (2005). أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر (المجلد 1). بيروت، لبنان: دار الغرب الاسلامي.

4. أبو القاسم، سعد الله. (2005). الحركة الوطنية الجزائرية (طبعة خاصة، المجلد 1). الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع.

5. أبو القاسم، سعد الله. (2005). تاريخ الجزائر الثقافي 1830- 1954 (ط2، المجلد 8). بيروت، لبنان: دار الغرب الاسلامي.

6. ألبير، باللو. (1905). الفن الاسلامي في الجزائر. المجلة الإفريقية ، ج 49.

7. الطيب، بن ابراهيم. (2004). الاستشراق الفرنسي تعدد مهامه خاصة في الجزائر. الجزائر، دار المنابع.

8. بعلي، حفناوي. (2016). صحراء الجزائر الكبرى في الرحلات وظلال اللوحات وفي الكتابات الغربية. الجزائر: دروب للنشر والتوزيع.

9. بنعمر، عزوز، و محمد، خالدي. (2018). الاستشراق الفرنسي وأثره في نشأة الفن التشكيلي الجزائري. مجلة جماليات (ع/5).

10. جورج ووليام، مارسيه. (1903). المعالم العربية لتلمسان. المجلة الإفريقية .

11. زوهير، مالكي. (2008-2009). مكتبات المتاحف الوطنية الجزائرية. *شهادة الماجستير، قسم علم المكتبات*، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران.

12. زينات، بيطار. (جانفي, 1992). الاستشراق في الفن الرومانسي الفرنسي. عالم المعرفة (ع/157).

13. سيد علي، أحمد مسعود. (جوان, 2019). الاستشراق الانثروبولوجي الفرنسي في الجزائر وارتباطه بالتنصير.مجلة قضايا تاريخية (ع/2).

14. شارل أندري، جوليان. (2008). تاريخ الجزائر المعاصر، الغزو وبدايات الاحتلال 1827-1871 (ط 1). الجزائر: دار الأمة.

15. عبده علي، عرفة. (2003). فرومنتان في صحاري الشرق. مجلة العربي.

16. علي، خلاصي. (2007). قصبة مدينة الجزائر (ط1، ج 1). الجزائر: دار الحضارة.

17. محمد، ناصر. (2015). شخصيات جزائرية (طبعة خاصة، المجلد 2). الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع.

18. محمود، علالي. (2014). وصف المركز العسكري بالجلفة من خلال كتاب " صيف في الصحراء" للكاتب أوجين فرومنتان. مجلة أنسة للبحوث والدراسات (العدد 10).

19. مصطفى، لشرف. (2007). أعلام ومعالم، مآثر عن جزائر منسية. (أحمد بن محمد بكلي، المترجمون) الجزائر: دار القصبة.

20. منير، بهادي. (2002). الاستشراق والعولمة الثقافية. الجزائر: دار الغرب للنشر والتوزيع.

21. وليم وجورج، مارسي. (2011). المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان (ط 1). (مراد بلعيد، و آخرون، المترجمون) الجزائر: شركة الآصالة للنشر والتوزيع.

22. Bué, M. V. (2000). Alger et ses Peintres 1830- 1960. Paris: Paris Méditerraée.

23. Dorbani, M.(2002). Les prémices de la peinture de la modernité et contemporaine en Algerie. Horizons Maghrébins- le droit de la mémoire. (N 47).